هل أعاق النحو مسيرة العربية؟

❖ تحقيق - محمد ولد الشيخ

هل يعد النحو العربي عائقا أمام اللغة العربية، مانعا لتطورها وانتشارها عالميا على غرار اللغة الإنكليزية مثلا؟ وهل المبالغة في التقعيد(إخضاعها للقواعد) انعكست سلبا على الجوانب الوظيفية والإتصالية للغة الضاد وجعلتها حبيسة قرون خلت من التركيز على الفاعل، والمفعول.. وكان وأخواتها»؟ أم أن ذلك الجانب التقعيدي القائم على قواعد صارمة وضعها علماء اللغة وجهابذتها هو الذي حمى لغة القرآن الكريم من التحريف وجعلها تحافظ على بقائها عشرات القرون دون أن تندثر كما حصل للغات أخرى عاصرتها.. كما منعها من السقوط في أتون العاميات وبساطتها التي تلغي أي معنى وتجعل الجميع يتكلمون دون قيد أو شرط؟

ملحق «الشقافي» توجه بهذه الأسئلة إلى عدد من أساتذة اللغة العربية والمختصين والمبدعين فكانت الردود التالية:

الدكتور عبدالله عبدالرحمن مدير برنامج اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة قطر قال: إن إزاحة عائق التقعيد يجب التصدي له من خلال جهود الدارسين والمختصين بتفعيل الجانب التواصلي للغة، فالنحو العربي والصرف مثل الملح بالنسبة إلى الطعام، من المهم التقيد بهما في حدود معينة ولكن زيادتهما عن الحد المطلوب يسبب مشكلة ويعود بأثر سلبي على اللغة.. وبرأي د. عبدالرحمن فإن أنجع وسيلة لذلك هي تأخير دراسة النحو لتتم دراسته من الناحية الوظيفية وليس من الناحية النظرية فقط، إذ أن مشكلة القواعد تجعل الشخص يفكر ألف مرة قبل أن يتحدث، ومن أمثلة ذلك أن بعض العلماء المسلمين لا يمكنهم الحديث بطلاقة باللغة العربية وذلك بسبب خوفهم من اللحن، فثقافة اللحن ارتبطت بالعار ولها علاقة بالنقاء العرقي العربي مما يعني تجذر الظاهرة لغويا وتأثيرها العميق في الثقافة والوجدان العربي.. ويؤكد الدكتور عبدالله عبدالرحمن في حديثه أن الاهتمام بالجانب الوظيفي والتواصلي للغة لا يجب أن ينسينا أهمية الفصاحة بحيث أن الفصاحة لها تأثير قوي على التواصل وعلى جذب الانتباه، ومن المهم أن لا تجعلنا الرغبة في تسهيل اللغة نتخلى عن كل مناهجنا السابقة فالحفظ ليس كله سيئا لأنه يفيد الشخص في توليد كلمات ويمكن لتلك الكلمات أن تشكل قاموسا لغويا لا غنى عنه للدارسين وللمتحدثين باللغة العربية.

طرق التعليم الحديثة

من جهته قال الشاعر السوري محمد صالح: يجب علينا تفعيل دور اللغة العربية مجتمعيا وتعليميا وعمليا بشكل أوسع مما هو عليه الآن. كما ينبغي الارتقاء بأساليب تعليم العربية بما يتواءم مع طرق التعليم الحديثة المعتمدة على البرمجة العصبية. مضيفا: العربية واحدة من أهم لغات العالم ولا ينبغي أن تكون إمكانية الوصول إلى تسجيلات تساعد على تعلمها أقل على مواقع التواصل الاجتماعي من تلك المتعلقة باللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وتابع: اللغة العربية اليوم، ورغم أنها تأتي في المرتبة السابعة ضمن ثماني لغات مستعملة عالميا (بعد الصينية والإنكليزية والهندية والإسبانية والروسية والفرنسية)، تجد نفسها محاصرة داخل الوطن العربي نفسه ببعض اللهجات المحلية التي تستخدم في التعاملات وأيضا باللغات الأجنبية التي ينقل من خلالها العلم وتتكلم عبر وسائط الإعلام وتقنيات التواصل بمختلف أنواعها وأشكالها. ويكفي هنا أن نذكر أن اللغة العربية لا تمثل في شبكة الإنترنت إلا 4 % من مجموع اللغات الحاضرة على هذه الشبكة مقابل 47 % للإنكليزية و9 % للصينية و8 % لليابانية و6 % للألمانية و4 % لكل من الإسبانية والفرنسية و3 % للإيطالية و2 % للبرتغالية والروسية، مما يعني أن لغة الضاد شبه غائبة عن هذا العالم الإلكتروني، وهذا الواقع الذي تعيشه اللغة العربية، سواء في مجال الإعلام والاتصال أم على مستوى التعريب أو حتى في نطاق النظم التربوية يقتضي من دون شك مضاعفة الجهد من أجل تنمية اللغة الأم واعتبارها بصورة عملية أحد ضمانات الأمن الثقافي العربي. وهذا الجهد يحتاج، فضلا عن الجهود المبذولة في كل قطر عربي، عملا جماعيا على صعيد الوطن العربي، لعل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) تكون إحدى أبرز أدواته.

> الوظيفة التواصلية للغة يجب ألا تنسينا أهمية الفصاحة
>
> العربية محاصرة داخل الوطن العربي نفسه باللهجات
>
> سهولة الحديث بالإنجليزية جعلتها تكتسح العالم
>
> ينبغي تسهيل تعلمها واكتساب مَلَكاتها ومَهاراتها وظيفيًا

موضوع شائك

أما الدكتور عبدالقادر أبو شريفة أستاذ اللغة العربية بجامعة قطر فيرى أن موضوع اللغة من حيث جوانبها اللفظية والوظيفية من الموضوعات الشائكة نظرا لما يكتنفه من جدل بين المختصين، موضحا أن هناك عدة مستويات للغة منها مستوى كتابي وآخر شفوي ويهتم الجانب الكتابي بالتقعيد والسير وفقا لقواعد صارمة ولكن الجانب الشفهي من وجهة نظره يجب أن يخضع للضرورات الوظيفية للغة، أي من خلال التعامل مع الكلمات اللغوية في إطار وظيفة معينة بدلا من حفظ تلك الكلمات وفق قوالب جاهزة لا تحقق الهدف الأساس من اللغة..

وينتقد أبوشريفة نقده للواقع اللغوي العربي من خلال تأكيده الخطأ الذي يقع فيه الدارسون للغة بمعزل عن الواقع، حيث تركز

د. عبدالله عبدالرحمن

د. عبدالقادر أبوشريفة

د. أدي ولد آدب

د. عبدالله عبدالرحمن: القواعد تمنع انسيابية الحديث باللغة

الجامعات في تدريسها على الحركات أكثر من المعنى، موضحا أن قسم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة قطر يركز على الجوانب الاتصالية للغة دون تجاهل أهمية النحو الوظيفي في ضوء رسائل معينة. وفي إطار المقارنة بين جوانب في اللغة العربية ونظيرتها الإنكليزية يوضح د. أبو شريفة أن النحو متشعب وله بدائل كثيرة عند النحويين وهو ما يجعل تلك الطرائق بمثابة عقبات عند الكثير من الدارسين، وقال: من خلال تلك القواعد الصارمة لم يعد الأشخاص غير الفصحاء قادرين على الحديث بطلاقة خوفا من اللحن في حين أن اللغة الإنجليزية لا تعاني من نفس المشكلة لأنها تركز على وظائف اللغة وعلى الجوانب الاتصالية فيها أكثر من اهتمامها بالتقعيد، مما يعني إمكانية الحديث دون الحاجة إلى التقيد بقواعد اللغة فيها وهذا أحد أسرار انتشارها الواسع عالميا ومع ذلك يشدد الدكتور عبدالقادر أبوشريفة على أهمية أن يتم الخلط بين تسهيل اللغة والتساهل الشديد مع القواعد والأساليب لأن ذلك من شأنه النزول باللغة الفصحى إلى العامية كما يدعو إليه الكثيرون وهو أمر يرفضه كل مهتم بالشأن اللغوي، وعلاقة اللغة بتطور المجتمع.

د. عبدالقادر أبوشريفة: الوظائف اللغوية أهم من الحركات الإعرابية

فتَمَاهَى المُشتغِربُ مع الغَارِب، ثم اتسعت عوْلمتُها، منذ رسَّمَها اللهُ - جَلَّ وعلا - لغةً للرسالة الإسلامية الكونية، لكن - عشقنا لها، وتدلُّهنا بأسْرار بلاغتها - لا يُغمِينا عن كوْنها مَحْبوبة صعْبة المِرَاس، فإذا كانت اللغات - عادةً تُقْرَأ لِتُفْهَمَ، فإنَّ اللغةَ العَرَبيةَ تُفْهَمُ لتُكْتَبَ، وهذا ما يجعلُ قراءتَها اليومَ - إذا لم تُضْبَطْ بالتشْكيل - شِبْهَ مُسْتَحيلةٍ، لاسيَّما بالنسبة إلى من لم يكتسبْ سَليقتَها (مَنْطِقَها الداخلي الفطري) ويُضاعِفُ هذه الصعوبةَ، أنَّ ضرورةَ التشكيل، لا تقتصر هنا على أواخر الكلمات، المُتغيرةِ الحَركات،

محمد صالح

محمد صالح: ينبغي الارتقاء بأساليب تعليم العربية

د. أدي ولد آدب: اللغات تُقْرَأُ لتُفْهَمَ أما العَرَبيةَ فتُفْهَمُ لتُكْتَبَ!

بتغيُّر عوامل الإعراب؛ رفعًا، ونصبا، وجرا، وجزما، حسب قواعد (علم النحو)، بل إن ضرورة التشْكيل، تتجَلَّى أكثر في (علم الصرف) حيث يجب ضبْطُ حركات جميع حروف الكلمة، لأنَّ تغير الحركة في أي حرف، لا يغير الوزن (بنْيَتَها الصرْفية) فحسب، بل يغير الصيغة، والدلالة طبعا. ومادام «الإعراب» - كما يقال - مندرجٌ تحت المعاني، وكذلك(الصرف)، و(البلاغة)، وجميع فنون العربية، فإن كلَّ ذلك لا يُمْكِنُ فَهْمُه إلا من خلال المادة العضوية (الخام) للغة العربية، المتمَثِّلة في الثروة المعْجَمِيَّة (المفردات) وهكذا يتجلَّى أنَّ هذه اللغة ليست عِلْمًا بسيطا (أحادي البنية)، وإنما هي عدة متكاملة، لا يمكن فهم بعضها دون بعض، مما يزيد صعوبة امتلاك ناصيتها، والتحكم في جموحها، ولاسيَّما في عصرنا الراهن، عصر السرعة، والكسب السريع، وسهولة التواصل..

ويختتم الدكتور ولد آدب حديثه بالتأكيد بأنه - على قدر فهْم صعوبة اللغة العربية هذه - ينبغي أن نسعى لتسهيل، تعلمها، واكتساب مَلَكاتِها، ومَهاراتها، بشكل وظيفي، يركِّزُ على اشتِبْطان القواعد، أكثر من اشتِظْهارها، لأن ذلك هو أصل الفطرة اللغوية المركوزة فينا، فوضع القواعد جاء متأخرا، بعد فساد السليقة العربية الأصيلة، وتعقيدات الحضارة. أجَلْ، قبل وضْعِ علوم العربية، كانت هناك النصوص، حيث يَتَشَبَّعُ المُتَعَلِّمُ للغة العربية، بمنْطِقِها العِلْمي، عبْر التفاعل الخلاق مع نصوصها، وتَفَهُّم سياقاتها، تناولا وتداولا، فلْنَدْرُسْ القاعدةَ من خلال النص، أكثر من قراءة النص من خلال القاعدة. تلك مهمتنا جميعا.